

التباين في تلقي اللسانيات لدى الدارسين العرب، وأثره على تعليمية اللغة العربية

The variation in the reception of linguistics among Arab scholars and its impact on Arabic language teaching.

الأستاذ المشرف: دين العربي - Alarabi Dine

جامعة الدكتور مولاي الطاهر. سعيدة (الجزائر)

alarabi.dnie@gmail.com

ط.د. نابي عثمان شريف* - Nabi Otmane

جامعة الدكتور مولاي الطاهر. سعيدة (الجزائر)

nabiotmane@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/04/01

تاريخ الاستلام: 2025/11/07

ملخص:

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على التباين في تلقي اللسانيات لدى الدارسين العرب، ومدى تأثيره على تعليمية اللغة العربية؛ إذ ليس من المعقول البحث عن الآليات التي تسمح باستثمار النظرية اللسانية في مجال تعليمية اللغة العربية قبل الفصل في الاتجاه اللساني المناسب الذي تنبثق عنه تلك النظريات اللسانية. بمفهوم آخر، سؤال: أيّ نظرية لسانية نستثمر في تعليم اللغة العربية، أو كيف؟ سابق لأوانه، وقد يكون سؤال يتجاوز البحث بسبب الطبيعة البراغماتية لتعليمية اللغات، لذلك وجب الفصل بشكل نهائي في اختيار الاتجاه اللساني المناسب لتعليمية اللغة العربية في ظل تباين تلقي اللسانيات نفسها، وعليه يكون الإشكال الجوهرى الذي يجب الفصل فيه هو: تعليمية اللغة العربية أيّ كتابات لسانية نستثمر؟

الكلمات المفتاحية: تعليمية اللغات، الاتجاهات اللسانية، تعليمية اللغة العربية، المقاربات التعليمية.

Abstract:

This research seeks to shed light on the variation in how Arab learners receive linguistics and its impact on Arabic language teaching. It is unreasonable to explore mechanisms for applying linguistic theory to Arabic language teaching before first determining the appropriate linguistic approach from which these theories emerge. In other words, the question, "Which linguistic theory should we apply in teaching Arabic, or how?" is premature and may have been superseded by the pragmatic nature of language teaching. Therefore, it is essential to definitively determine the appropriate linguistic approach for teaching Arabic, given the variation in how linguistics itself is received. Consequently, the fundamental question that must be resolved is: Which linguistic writings should we invest in teaching Arabic?

Keywords: Languages didactics ؛linguistic trends ؛Arabic language didactics ؛Educational approaches .

. مقدمة:

يجمع كل المشتغلين في ميدان تعليمية اللغات على ضرورة استثمار الكتابات اللسانية بمختلف اتجاهاتها (البنوية، والتوليدية-التحويلية، والوظيفية) في بناء مقاربات بيداغوجية ناجعة لتعليم اللغات، وذلك أنّه "لا يمكن استمداد الأسس النظرية القاعدية لمقاربة لسانية خاصة بتعليمية اللغات إلّا من اللسانيات العامة"⁽¹⁾. وبالعودة إلى واقع اللسانيات في الثقافة العربية نجد أنفسنا أمام إشكالات تحول دون تطور البحث اليداكتلي العربي، هذه الإشكالات لا تتعلق بمبدأ ضرورة اعتماد النظرية اللسانية في مجال تعليمية اللغة العربية؛ لأنّ هذا المبدأ أصبح من المسلمات التي لا غنى لأيّ مشتغل في ميدان تعليمية اللغات الاعتماد عليه، وإنما الإشكال يتعلق باللسانيات العربية في حدّ ذاتها. فالمتتبع لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، والمتأمل في مرجعياتها يجد نفسه أمام تباين كبير يرجع أصله إلى تلقي اللسانيات نفسها، هذا التباين في التلقي جعل المشتغل في ميدان تعليمية اللغة العربية يقف أمام ثلاث اتجاهات لسانية: اتجاه لساني تراثي يتشبّث بالتراث اللغوي العربي القديم، واتجاه لساني حديثي هو تبني حربي للنظريات اللسانية العربية الحديثة، واتجاه توفيق بين الاتجاهين السابقين⁽²⁾. وهنا تكمن الإشكالية التي يحاول البحث الإجابة عنها: تعليمية اللغة العربية أيّ لسانيات نستثمر في ظل هذا التباين للاتجاهات اللسانية؟ وتتفرع هذه الإشكالية إلى ثلاثة أسئلة نحاول الإجابة عنها وهي :

1. هل تعدد الاتجاهات اللسانية (التراثي، والحداثي، والتوفيق) عامل مساعد في تعليم اللغة العربية، وتعلمها أم هو عائق ؟

2. أيّ اتجاه لساني هو الأنجع لتعليم اللغة العربية وتعلمها ؟

وعلى ضوء هذه الإشكالية، و الأسئلة المتفرعة عنها نتوجّه إلى تناول ما يلي:

1- حدود العلاقة بين تعليمية اللغات واللسانيات.

2- أزمة اللسانيات العربية.

3- الاتجاهات اللسانية وتعليمية اللغة العربية.

2 حدود العلاقة بين تعليمية اللغات واللسانيات

إدراك حدود العلاقة بين اللسانيات وتعليميّة اللغات تبدأ من معرفتنا بأنّ مجال اشتغال كليهما موضوع واحد، ألا وهو اللغة، ولكن من منظور وآليات مختلفة.

1.2 . تعليميّة اللغات:

علم تعليم اللغات هو علم تطبيقي يهدف إلى تعليم اللغات سواء كانت هذه اللغات من منشأ الفرد أو مما يكتسبه من اللغات الأجنبية ، كما نعني بهي ذلك الاختصاص الذي يغطي مجموع المقاربات العلمية لتعليم اللغات ويكون نقطة تأليف بين علوم كثيرة أهمها اللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم

التربية...⁽³⁾، وبالرغم من أنّ حقل تعليمية اللّغات تتقاطع فيه مجموعة من العلوم إلّا أنّ كلا منها يسعى لفهم الظاهرة اللغوية ليس من جانب البنية اللغوية فقط، وإنّما من جانب فهم وظائف أخرى كالوظيفة الاجتماعية، و الوظيفة النفسية التي تبحث في خصائص المتعلم وحاجاته، وغيرها من الجوانب الأخرى المتعلقة ببنية اللغة و بالتالي فأشكال تعلم اللّغة بالدرجة الأولى هو إشكال لساني، "ومن هاهنا فإنّ تعليمية اللّغات لا يستقيم لها أمر إلّا إذا اعتمدت على الرّصيد المعرفي للفكر اللساني المعاصر، وما يوفّره هذا الفكر من نظريات وإجراءات تطبيقية مؤهلة سلفا لإيجاد التّفكير الكافي لكل القضايا التي تتعلق بكل جوانب الظاهرة اللغوية؛ من هذه الجوانب ما هو صوتي، ومنها ما هو دلالي، ومنها ما يقع بين ذلك من حيث التّركيب والتّأليف بين العناصر اللّسانية في سياقها المألوف"⁽⁴⁾.

2.2 اللسانيات العامة:

انطلاقاً من محاولة الإجابة عن سؤال "ماذا يجب أن نعلم من اللّغة؟ تبرز أهمية اللّسانيات بالنّسبة للمشتغل في مجال تعليم اللّغات، وتظهر العلاقة القائمة بين اللّسانيات والتّعليمية، هذه العلاقة تفرضها ضرورة التّعرف على بنية اللّغة التي نريد تقديمها للمتعلّم فكما هو معلوم، الدراسة اللّسانية للّغة تهدف "للكشف عن أسرار اللغة وقوانينها، سواء كان في مستوى النّظام المتواضع عليه، أم في مستوى الكلام وتأدية المتكلمين لوحدهات وتركيباته في المخاطبات (الشفاهية و الكتابية)"⁽⁵⁾، فاللّسانيات علم نظري تجريدي يشتغل على اللّغة قصد التّعرف على نظامها بجميع مستوياتها، الصوتية والتّركيبية، والدّلالية والمعجمية، ومادام هذا النّظام الذي تعتمد عليه الألسن البشرية جهاز غير مرئي داخل الدّماغ البشري، فإنّ علماء اللغة لا يسعهم فهم آليات اشتغال هذا النظام إلّا قيد الاستعمال، ولذلك كان حقل تعليمية اللغات أفضل ميدان تطبيقي لاختبار التّطبيقات اللّسانية، إذ أنّ التّطبيق الميداني "يكشف عمّا يوجد من إيجابيات وسلبيات في التّطبيقات وبالتالي مراجعتها"⁽⁶⁾، ولذلك فالعلاقة بين اللسانيات وتعليمية اللغات لا تخرج عن كونها علاقة بين النظرية والتّطبيق؛ فالنّظرية لا يمكن لها أن ترقى إلى مستوى حقيقة علمية لها منهجها إلّا إذا اختبرت نتائجها في ميدان التّطبيق وأثبتت فاعليتها، حيث كان اللّساني المشهور ببلومفيلد (Bloomfield) يرى أنّ فائدة اللّسانيات تكمن في التّأهيل العلمي للعمل التّطبيقي في تعليم اللغات وممارستها⁽⁷⁾.

– العلاقة القائمة بين التّعليمية واللّسانيات، علاقة قوية أملاها الاشتغال على نفس الموضوع، وهو موضوع اللغة وإنّ بأدوات وآليات مختلفة، فكلاهما يحتاجان بعضهما البعض باستمرار، فاللساني يجد في حقل تعليم اللغات ميداناً علمياً لاختبار نظرياته العلمية، ومعلم اللّغات بالمقابل يستثمر المستخلصات النّظرية للّسانيات في بناء طرقه وأساليبه، وتحديثها اعتماداً على ما جدّ في الفكر اللّساني المعاصر.

إنّ "معلم اللّغات يستخدم النّظرية اللّسانية ولا يُنشئها"⁽⁸⁾، إذ أنّ المستخلصات النّظرية اللّسانية تعدّ موارد أساسية يعتمد عليها معلم اللغة في بناء مقارباته التّعليمية، ولا يمكن أن نضمن فعاليّة أيّ مقارنة لتعليم اللغات إلّا إذا تأكدنا من سلامة تلك الموارد الأساسيّة، و عدم وجود خلل فيها، و هذه النقطة هي التي يحاول البحث

لفت الانتباه لها، إذ أنّ هناك فجوة معرفية غفلت عنها الكثير من البحوث المختصة في تعليمية اللغة العربية، وراحت تبحث في إشكال نوع النظرية اللسانية المناسبة التي يجب استثمارها في حقل تعليمية اللغة العربية، أو كيف؟، وهي مباحث سابقة لأوانها، وقد لا تجدي نفعا ما لم يتم الفصل والتأكد من سلامة الموارد الأساسية التي هي مستخلصات النظرية اللسانية، وهذا يعود بنا إلى النظر في اللسانيات العربية الحديثة التي هي من المفروض تكود مصدر تلك المستخلصات النظرية التي يُعتمد عليها في بناء مقارنة تعليمية ناجعة لتعليم اللغة العربية. فملتبع لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، والمتأمل في مرجعياتها يدرك أنّ اللسانيات العربية تعاني "أزمة أسس؛ أي أزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالاً معرفياً معيناً وتحدد معالمه، إما لعدم وضوحها بالشكل الكافي، وإما لكون التراكب المعرفي المتوفر في هذا المجال قد وصل إلى الطريق المسدود في مستويي التحليل أو النتائج أو هما معاً مما يتطلب إعادة النظر في الأسس والمبادئ العامة التي يقوم عليها هذا المجال المعني"⁽⁹⁾، تلك الأزمة كانت ولا تزال سبباً جوهرياً حال دون تطور معظم الجهود التعليمية.

3. أزمة اللسانيات العربية

يجمع الكثير من الباحثين أنّ الدرس اللساني العربي الحديث لم يفلح في مواكبة نظيره الغربي، وبقي عاجزاً عن التأسيس لبحث لساني عربي تتوفر فيه المواصفات العلمية المطلوبة، وذلك أنّ النماذج اللسانية في الثقافة العربية لم تأت حصيلة تطور طبيعي وتلقائي، بل كانت انتقالاً طفيفاً/عشوائياً، لم تدع الحاجة إليه، ولم تقتضيه تطورات حاصلة أو تراكمات منجزة، وهذا يعني أنّ الانتقال كان بدافع التقليد و مواكبة آخر مستجدات البحث اللساني"⁽¹⁰⁾، وقد كُتبت العديد من الدراسات حول مظاهر أزمة اللسانيات العربية و أسبابها، وعلى اختلاف تلك الدراسات وتعدّد إجاباتها إلا أنّها اتفقت على أنّ أزمة اللسانيات العربية تتمثل في الكتابات اللسانية التي لا تخرج عن الاتجاهات اللسانية الثلاثة المعروفة: الاتجاه اللساني التراثي، والاتجاه اللساني الحديث، والاتجاه اللساني التوفيقي.

وكما هو معلوم فإنّ أسباب ومظاهر أزمة اللسانيات العربية موضوع واسع، ليس هدف البحث الخوض فيه، وإنّما نحاول في بحثنا المتواضع التركيز على الأسباب والمظاهر التي - في نظرنا - لها تأثير مباشر على تعليم اللغة وتعلّمها، إذ أنّ المستخلصات النظرية اللسانية تعدّ موارد أساسية يعتمد عليها معلم اللغة في بناء مقارباته التعليمية. وعليه سنحاول الوقوف على أهم الإشكالات التي أفرزها كل اتجاه لساني، ومثلت عقبة حالت دون تطور البحث اللساني المعاصر، وكان لها تأثير سلبي نجم عنه تعثر معظم الجهود التعليمية.

1.3 الاتجاه اللساني التراثي:

مصطلح "لسانيات التراث" اختلف في مفهومه تُقاد البحث اللساني على قولين؛ فمنهم من يُعرفها بأنّها تلك الكتابة اللسانية التي "تتخذ التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعاً لدراسته أما المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يُعرف بمنهج القراءة أو إعادة القراءة، ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التّصورات اللغوية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث، والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي

القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية⁽¹¹⁾، بمعنى أنّ لسانيات التراث هي الأعمال التي تقوم بإعادة قراءة المنجز اللغوي القديم في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، وليست هي التراث اللغوي في حدّ ذاته، بينما نجد بعض النقاد من وظّف هذا المصطلح للدلالة على الموروث اللغوي القديم نفسه، فهي تاريخياً تبتدئ مع ما ظهر من أعمال في مختلف مجالات البحث اللغوي في أواخر القرن الثاني الهجري⁽¹²⁾.

وحتى نلتزم بموضوع بحثنا، ولا يتشعب بنا موضوع "أزمة اللسانيات العربية"، ونبقى في الغاية التي من أجلها أعدنا هذه الدراسة، ركزنا على الإشكالات التي تنجم عن لسانيات التراث، ويكون له تأثير مباشر على الجهود التعليمية للغة العربية وحسب وجهة نظرنا المتواضعة تتمثل في:

1- : أسبقية التراث اللغوي ورفض اللسانيات الحديثة

2- : اعتبار التراث اللغوي القديم هو نفسه اللسانيات الحديثة

3- : إسقاط المصطلح اللغوي القديم على الحديث

2.3 الاتجاه اللساني الحديث:

في مقابل الاتجاه اللساني المتعصب للتراث اللغوي القديم، نجد اتجاه لساني حديثي يميل إلى أقصى اليسار، يؤكد على ضرورة مواكبة الدرس اللساني المعاصر، ويعتقد أنّ أول خطوة لذلك هي القطيعة المعرفية مع التراث اللغوي القديم، لأنّ "فترة التراث اللغوي العربي ومناهجه بالنسبة لهذا الفريق هي فترة تاريخية قد انتهت وينبغي علينا أن ندرسها ضمن إطارها التاريخي فقط"⁽¹³⁾. ولعلّ أبرز الإشكالات التي تفرزها الكتابات اللسانية الحديثة، و لها تأثير مباشر على تعليمية اللغة العربية ما يلي:

1- القطيعة المعرفية مع المنجز اللغوي التراثي.

2- الفهم السيئ للسانيات الحديثة.

3- التضارب في ترجمة المصطلح.

3.3 . الاتجاه اللساني التوفيقي:

في ظل الصراع بين قطبي الفكر اللغوي العربي: القطب المحافظ الذي تمثله لسانيات التراث، و يعمل على إحياء التراث اللغوي القديم، وإعادة إنتاجه بنفس الصيغة، أو بصيغ مختلفة، والقطب اللساني الحديثي الذي يدعو إلى ضرورة القطيعة مع القطب الأول ويتبنى النظرية اللسانية الغربية بكل تفصيلاتها، ظهر اتجاه لساني يحاول التوفيق بين هذين القطبين، مادام ليس هناك إلزام من الناحية العلمية والمنهجية، يحتم علينا تبني أحد الاتجاهين اللسانيين، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنّ الدراسات اللسانية المعاصرة كلها تتسم بالنفعية؛ بمعنى البحث عن المفيد هو الغاية سواء وُجد في القديم أو الحديث، وعليه كان "الاتصال بالتراث من ناحية، والاتصال بالمنهج الحديث في تطوره السريع من ناحية أخرى واجبٌ علميٌّ و واجبٌ قوميٌّ، لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف، ولعلنا من البحث في المنهج أن نصل يوماً إلى منهج علمي لدراسة العربية"⁽¹⁴⁾، وعلى الرغم من المرونة التي

تُميز الاتجاه اللساني التوفيقي فقد نسجل عليه بعض النقائص، التي لها تأثير ظاهر على تعليمية اللغة العربية، لعل أهمها:

1- الجهود الفردية.

2- الانتقائية دون اعتماد على منهج علمي واضح.

4. الاتجاهات اللسانية وتعليمية اللغة العربية:

مادام أنّ تعليمية اللغات تمثل "المجال المتوخى لتطبيق الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية، وذلك باستعمال النتائج العلمية والمعرفية المحققة في مجال البحث اللساني النظري في ترقية طرائق تعليمية اللغات للناطقين بها، وغير الناطقين بها" (15)، فإنّه من المستلزمات المنطقية أنّ تلك الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية لو كان فيها خطأ معرفي، أو اضطراب منهجي، فلا يمكن بأيّ وجه من الوجوه أن تساهم في ترقية طرائق تعليم اللغات، ولعلّ هذا هو السبب الرئيس الذي يكمن وراء فشل الكثير من الجهود التعليمية، وبخاصة تعليمية اللغة العربية. وحتى نقف عند هذا الخلل الذي تجاهلته الكثير من الدراسات في مجال تعليمية اللغة العربية، وراحت تسأل عن نوع النظرية اللسانية المناسبة لتعليم اللغة العربية، أو كيف؟، قمنا بمحاولة مناقشة تلك الإشكالات التي أفرزها كل اتجاه لساني (التراثي، حداشي، توفيقي) ضمن مجال تعليمية اللغات، لنبين كيف نجم عن تلك الإشكالات عوائق حالت دون تطور البحوث التعليمية .

1.4. أسبقية التراث اللغوي وتعليمية اللغة العربية:

الكثير من الدراسات التي تعيد قراءة التراث اللغوي هي في الحقيقة تحاول إثبات أسبقية البحوث اللغوية القديمة على النظريات اللسانية المعاصرة فيما توصلت إليه من نتائج، فعلايتها هي "البرهنة على صحة التراث ونفوذه وقوته" (16)، ثم يتطور الأمر ليصبح دعوى إلى رفض اللسانيات وتجاوزها مادام هذا التراث اللغوي بديل عنها، ومن جهة أخرى فاللسانيات علم غربي لا يصلح لوصف اللغة العربية؛ باعتبارها "لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، ومن ثمة لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات الغربية التي بُنيت لوصف لغات أوربية" (17)، وبغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد من عدمه، فإننا إن سلمنا أنّ الموروث اللغوي القديم له السبق على النظريات اللسانية الحديثة، ولا فرق بينهما في المضامين فإنّه لا حاجة لنا لتلك النظريات اللسانية الحديثة، و هذا معناه أنّ المشتغلين في حقل تعليمية اللغة العربية ليس أمامهم سوى تلك النظريات اللغوية القديمة يُعتمد عليها كمصادر أساسية في بناء مقارباتهم التعليمية، وذلك يؤدي حتما إلى الجمود في الجهود التعليمية، وتكرار واجترار للمقاربات التعليمية القديمة وإن بوسائل تعليمية حديثة، وللأسف الشديد هذا واقع الكثير من المناهج التعليمية التي لا تستفيد ممّا استجد في البحث اللساني المعاصر .

ومن جهة أخرى نحن " في حاجة إلى أن نتقبل أنّ اللغة العربية الفصحى في حياتها الطويلة الخصبة مع محافظتها البالغة بوجه عام؛ قد طرأت عليها تغيرات في هذا الجانب أو ذاك. وأيّاً كان كُنه هذه التغيرات فهي في

نظر العلم تغيرات يجب أن تُدرس دراسة موضوعية منزّهة عن الأهواء⁽¹⁸⁾، تلك التغيرات التي طرأت على اللغة العربية كانت نتاج تطورات ثقافية و اجتماعية احتاجت اللغة للتأقلم معها⁽¹⁹⁾، ومادام الأمر كذلك فاللغة العربية في عصرنا تحتاج حتماً إلى وصف جديد، ونظريات لغوية حديثة تراعى ما طرأ عليها من تغير. أضف إلى ما سبق، " اللسانيات هي نظرية غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب، وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر"⁽²⁰⁾ لا مانع من الاستفادة منها لترقية الجهود اللسانية العربية الحديثة.

2.4. القطيعة مع التراث اللغوي وتعليمية اللغة العربية:

بناءً على قناعة أنّ اللغة العربية في عصرنا الحديث ليست هي اللغة العربية القديمة، تبنى الكثير من اللسانيين العرب المحدثين موقف القطيعة مع التراث اللغوي القديم، واعتبروا "الاعتقاد بأنّ الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة أخرى إلى الفكر النحوي العربي القديم... تصور خاطئ، وأنّ الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أيّ امتياز في وصف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال"⁽²¹⁾. أصحاب هذا الاتجاه اللساني يؤسسون لموقف المقاطعة مع التراث اللغوي على أمرين :

- التطور الذي طرأ على اللغة العربية.
- الآلة الواصفة للغة العربية لا تحتاج إلى مفاهيم وأصول القدماء .

أما التطور الذي عرفته اللغة العربية أمر يُجمع عليه الباحثون، وهو أمر عرفته جميع اللغات وما تزال؛ لأنّ هذه التطور حتمية تفرضها التغيرات الاجتماعية والثقافية، لكن التطور الذي عرفته اللغات الأجنبية، وخصوصاً اللغات الأوروبية، تطور مسّ بنيتها القاعدية، مما أحالها لغات متباعدة فيما بينها، أما بالنسبة للغة العربية فإنّ التطور لم يلامس قاعدية اللغة، أي نحوها، وصرفها، وقواعد الاشتقاق، بالرغم من تعدد الأساليب التعبيرية التي ظهرت في استخدامها أداءً، وميّزت بين عصر وعصر، فقاعدية النصوص ظلت هي هي في القديم والحديث⁽²²⁾، وبالتالي الارتكاز على فكرة التطور اللغوي لترسيخ مبدأ القطيعة مع التراث اللغوي القديم فكرة غير سليمة من الناحية العلمية و تصادم الواقع اللغوي للعربية، ولا تخدم الجهود التعليمية.

أما بالنسبة لعدم احتياج الآلة الواصفة للغة العربية إلى مفاهيم القدماء، فإننا إن سلمنا بصحة هذا الموقف فالسؤال الوجيه : أين البديل الذي يقدمه أصحاب هذا الطرح؟ وهل هو معتمد في بناء المقاربات التعليمية للغة العربية؟

بناءً على واقع اللغة العربية اليوم تكون شبه إجماع على أنّ دعاة القطيعة "لم يقدموا أيّ تصور أو مقارنة جديدة لمعالجة قضايا العربية تبعاً للتطورات التي حصلت في الدرس اللغوي الحديث، ولم يتمكن التحليل اللغوي العربي الحديث بعد من حلّ الكثير من المشاكل التي تعانيتها اللغة العربية"⁽²³⁾، ومادام هذا هو حال الكتابات اللسانية التي تتبنى موقف القطيعة مع التراث اللغوي، فكيف يُتصور أنه يمكن استثمار تلك الكتابات في مجال تعليمية اللغة العربية!.

القطيعة مع التراث الغوي القديم يعني القطيعة مع إنتاج علمي ضخم نخلت من علومه أجيال وأجيال، ولا يزال يشغل حيزا كبيرا في الثقافة العربية المعاصرة، "فهل من الصواب أن نفرط بهذا الكنز بدعوى أنه جدّ جديد في الموضوع؟ ! أ فلا يكون من الرّصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر ولاسيّما وأنّ هذا الماضي وضاء... لهذا كان لزاما علميا أن نربط الحديث بالقديم"⁽²⁴⁾، ومن المفارقات العجيبة التي لا يمكن تجاهلها، وتحتاج إلى دراسة، ما تزال إلى يومنا هذا بعض المدارس الدينية الغير نظامية التي تُعنى بتعليم العربية وترتكز على ذلك الموروث اللغوي القديم تثبت فاعليّتها وعلوّ كعبها على المناهج التعليمية الحديثة التي تدعي أنّ تقوم على المرتكزات اللسانية الحديثة !.

3.4. مقارنة التراث اللغوي القديم باللسانيات الحديثة وتعليمية اللغة العربية:

"إنّ كثيرا من اللغويين العرب المحدثين يعتقدون أنّه لا فرق بين النّحو واللسانيات سوى أنّ الأول قديم، وأنّ الثانية جديدة. أمّا المحتوى فهو نفسه في الحالتين، وكثيرا هي الدّراسات التي تتبنى هذا الموقف"⁽²⁵⁾. إنّ النقد الذي وجهناه لأصحاب فكر أسبقية التراث اللغوي على اللسانيات الحديثة يصلح في بعض نواحيه أن يكون موجها لأصحاب فكر مقارنة التراث اللغوي باللسانيات الحديثة، مع إضافات آثرنا التركيز عليها عند أصحاب هذا الطرح، تتمثل في نقطتين لهما علاقة مباشرة مع تعليمية اللغة العربية:

أ- منهج المقارنة: من أكبر المحاذير التي قد يقع فيها أصحاب منهج المقارنة، هو تجاهل ظروف النشأة التاريخية والاجتماعية لكل من التراث اللغوي القديم واللسانيات الحديثة فتلك المقارنة "عملية مخفوفة بمخاطر حمة و، عرضة لمزالق عدة، ليس أقلها شأننا وأهونها خطرا السقوط في وهدة التّعسف وتقويل هذا التراث ما لم يقل، وتأويله بما لا يستقيم مع كثير من توجهاته"⁽²⁶⁾. فكيف يمكن من وجهة نظر تعليمية الركون إلى مثل تلك الكتابات اللسانية، واعتمادها كموارد أساسية لبناء مقاربات تعليمية !

ب- الغاية من المقارنة : إذا كان من أجل إثبات أسبقية التراث، فهذا تكريس للجمود والاجترار، كما أكدنا على ذلك سابقا، وبالعودة إلى مجال التعليمية اللغات نجد أنفسنا مضطرين للإجابة على السؤال المحوري: ماذا يقدم أصحاب طرح المقارنة للمشتغلين في مجال تعليمية اللغة العربية؟.

إنّ المقارنة بين التراث اللغوي القديم واللسانيات الحديثة تُفضي في الأخير إلى أحد موقفين:

- الاكتفاء بالتراث اللغوي القديم مادام يوجد فيه ما يغني عن اللسانيات الحديثة.
- الاكتفاء باللسانيات الحديثة مادام يوجد فيها ما يكفي هم الرجوع إلى المصنفات النّحوية القديمة⁽²⁷⁾.

4.4. الجهود الفردية للاتجاه التوفيقي وتعليمية اللغة العربية:

"يظلّ الاتجاه الأكثر حضورا ونفوذا في حقل الدراسات اللسانية العربية الحديثة، هو ذلك التيار الذي يحاول التوفيق بين الفكر اللغوي العربي القديم، واللسانيات"⁽²⁸⁾، ويمكن أن يكون الاتجاه اللساني الأنسب للاستثمار في مجال تعليمية اللغة العربية، لولا بعض المآخذ التي تسجل على أصحاب هذا النوع من الكتابات اللسانية، لعلّ أهمها:

- الانتقائية وعدم انتهاج منهج واضح: بعض الكتابات اللسانية التي تصنف ضمن الاتجاه التوفيقي ألصق ما تكون بصفة العشوائية والانتقائية المفرطة، وغير قائمة على منهج مدروس ومخطط وإنما تعتمد أساسا على الشخص وذوقه واهتمامه⁽²⁹⁾، وأي دراسة لا يمكنها تحقيق نتائج علمية سليمة ما لم تستند إلى منهج علمي له أسس، ومعايير صحيحة، لذلك يجب التأكد من سلامة المنهج الذي تقوم عليه تلك الكتابات اللسانية قبل استثمارها في مجال تعليمية اللغة العربية.

- القطيعة بين اللسانيين العرب: بالرغم من أنّ هذا العائق خارج عن طبيعة البحث اللساني في حدّ ذاته إلا أنّ له تأثير كبير على تعليمية اللغة العربية، فقليلا ما نجد باحث لساني عربي يهتم بما يكتبه الآخر، وإن حصل نوع من الاهتمام فإنّه لا يكون إلا بنوايا مبيتة تهدف إلى التّيل من الكاتب ومن قدراته العلمية والمعرفية لا غير. وقد لا يحصل ذلك بين اتجاهات لسانية مختلفة فقط، بل كثيرا ما نجده داخل الاتجاه اللساني الواحد⁽³⁰⁾، ومادام هذا هو الحال فلا يُنتظر من الدول اعتماد تلك الجهود الفردية مهما بلغت من الدقة و التميز، في بناء البرامج التعليمية، ومن ضمنها تعليمية اللغة العربية؛ لأنّ البرامج التعليمية مشروع أمة لا يمكن أن يستند و يقوم إلا على عمل جماعي في إطار مؤسسي، وإلا تبقى تلك الأعمال حبيسة الكتب ورفوف المكتبات. و لعلّ هذا حال الكثير من الجهود اللسانية المتميزة التي ما زالت تنتظر من ينتخبها ويفسح لها المجال لتستثمر في بناء مقاربات تعليمية تُعتمد في المناهج الرسمية للدول.

5.4. تضارب المصطلح اللساني وتعليمية اللغة العربية:

لا يمكن للسانيات العربية الحديثة أن تنضج، وتصل إلى ما وصلت إليه نظيرتها الغربية وهي مازالت لم تضبط المصطلح اللساني الذي تقوم عليه مفاهيمها النظرية، فإدراك المصطلح وفهمه هو بمثابة إدراك للعلم في حدّ ذاته، وليس من المبالغة إذا قلنا أنّ هذا الأمر هو أهم عائق في طريق تقدم الدرس اللساني العربي المعاصر، إذ لا يخفى على أحد أنّ الرصيد الفني للسانيات العربية في مجال الدراسة المصطلحية يشكو من عقبات حقيقية؛ لغياب رصيد اصطلاحي مشترك يوحد اللسانيين ويؤلف بينهم. فرصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات يبدو ضربا من الأهواء النابعة من الميول والابتكار الشخصي الذي لا يتقيد بمنهجية علمية دقيقة⁽³¹⁾. هذا الاضطراب والعجز في مجال الصناعة المصطلحية يشكل قناعة لدى الكثير من يشتغلون في مجال تعليمية اللغات عموما، وتعليمية اللغة العربية خصوصا، أنّ الكتابات اللسانية العربية مازالت لم تنضج بعد، ومع إيمانها بضرورة استثمار النظرية اللسانية في بناء المقاربات التعليمية يجدون أنفسهم أمام خيارين، إما استيراد مقاربات تعليمية غربية جاهزة، أو اعتماد التراث اللغوي القديم إلى حين نضج واكتمال اللسانيات العربية، وتقريبا هذا هو الحال في بناء المقاربات التعليمية في العالم العربي.

5. خاتمة:

مرّ على ظهور اللسانيات العربية العامة واستثمارها في تعليمية اللغة العربية زمن غير قصير، ومع ذلك مازال السؤال المحوري الذي تدور حوله معظم الدراسات اللسانية التعليمية هو: "أيّ نظرية لسانية نستثمر؟ وكيف؟"، وكأنّ اللسانيات العربية العامة قد بلغت المستوى الذي بلغته نظيرتها في الغرب، والحقيقة أنّ اللسانيات العربية مازالت تعاني من أزمة من حيث المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية، لعلّ أبرز مظاهر تلك الأزمة اللسانية هو تباين الاتجاهات اللسانية في الثقافة العربية، وذلك يفرض على الباحثين المشتغلين في مجال تعليمية اللغة العربية إعادة النظر في إعطاء الأولوية للسؤال المحوري الذي تدور حوله معظم بحوثهم، وإدراك أنّ هناك إشكالا جوهريا بالغ الأهمية، إن لم يُفصل فيه فسيخلق فجوة معرفية تشكل عائقا كبيرا يحول دون تقدم البحث اللساني التعليمي، بمفهوم آخر يجب الفصل أولا في السؤال التالي "تعليمية اللغة العربية أيّ لسانيات نستثمر؟"، وقد حاولنا في بحثنا التعرض لأبرز الاتجاهات اللسانية التي تشغل حيزا في الفكر اللغوي الحديث، حتى يتسنى لنا الوقوف على المخرجات النظرية لكل اتجاه لساني، و ننظر في مدى صلاحيتها كمصادر يمكن استثمارها في بناء مقاربات تعليمية للغة العربية، وليس من هدف البحث وغايته تحديد الاتجاه اللساني المناسب للاستثمار في مجال تعليمية اللغة العربية، إنّما الهدف هو دفع المتخصصين في مجال تعليمية اللغة العربية إلى ضرورة التدقيق في نوع الكتابات اللسانية، والاتجاه الذي تنتمي قبل محاولة استثمارها في بناء المقاربات التعليمية.

أما بالنسبة لمسألة اختيار الاتجاه اللساني المناسب للاستثمار في مجال تعليمية اللغة العربية، فهو ليس بالأمر الهين، و ليس متاحا للاجتهادات الفردية مهما تميزت، إنّّه مشروع يتطلب عمل جماعي في إطار مؤسسي، يتم من خلاله اعتماد مقاييس علمية دقيقة و صارمة تحظى بالإجماع، بحيث لا يمكن اعتماد أي كتابة لسانية من أيّ اتجاه لساني في تعليمية اللغة العربية ما لم تستجب، وتحترم تلك المقاييس العلمية الدقيقة التي انبثقت عن ذلك المشروع الجماعي. ومن دون ذلك تبقى المقاربات التعليمية للغة العربية بعيدة عن تحقيق غاياتها.

6- الهوامش:

- 1- د/يوسف مقران: مدخل في اللسانيات والتعليمية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع 2013، ص 170.
- 2- يُنظر، د/مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص49.
- 3- ينظر، فتحي فارس ومجيد الشابي: مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003، ص19.
- 4- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقول تعليمية اللغة العربية، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص2.
- 5- د/عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في التهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية.. مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد4، سنة1973/1974، ص19.
- 6- د/أحمد حسين اللقاني و د/فارعة حسن محمد: مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مصر، 2001، ص94.

- 7- يُنظر، د/أحمد شامية، في اللغة، دراسة تمهيدية منهجية في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2002، 1، ص195
- 8- د/عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص137.
- 9- د/مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، ص20.
- 10- د/حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص405-406
- 11- د/مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، ص62.
- 12- ينظر محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات التأسيسية دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص24.
- 13- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلال للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1 - 1988، ص353.
- 14- الرجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ، دار النهضة بيروت ، طبعة 1979، ص7
- 15- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص130.
- 16- د/حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص71.
- 17- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1985، ص56.
- 18- محمود السعرا، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت ، ص38-39
- 19- ينظر منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية، ص49.
- 20- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية ، ص39.
- 21- الفهري عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية، ص60
- 22- ينظر منذر العياشي، المصدر السابق، ص48-49.
- 23- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص104.
- 24- التهامي الراجحي، توطئة في علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1997، ص5.
- 25- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة ، ص104.
- 26- د.قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر والتوزيع - الجزائر، 2004، ص5.
- 27- يُنظر د/حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص123.
- 28- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص105.

- 29- يُنظر باكلا محمد حسين، النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية: دراسة للفعل في اللغة المحلية في مكة، ص1.
- 30- د/حافظ إسماعيل العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص87
- 31- د/حافظ إسماعيل العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص83.

7. قائمة المراجع:

- 1- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 2- أحمد حسين اللقاني و د/فارعة حسن محمد: مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، ط1، مصر، 2001.
- 3- أحمد شامية، في اللغة، دراسة تمهيدية منهجية في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002.
- 4- باكلا محمد حسين، النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية: دراسة للفعل في اللغة المحلية في مكة.
- 5- التهامي الراجحي، توطئة في علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1997.
- 6- حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- 7- الرجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ، دار النهضة بيروت ، طبعة 1979.
- 8- عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية..مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد4، سنة1973/1974.
- 9- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 10- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1985.
- 11- فتحي فارس ومحمد الشابي: مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003.
- 12- قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر والتوزيع - الجزائر، 2004.
- 13- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1989.
- 14- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلال للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، ط1 - 1988.
- 15- محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات التّسببية دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة..، ط2010، 1.
- 16- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت .

- 17- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- 18- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4.
- 19- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.
- 20- منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية دار طلال للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1991.
- 21- يوسف مقران: مدخل في اللسانيات والتعليمية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع 2013.